كتابك

٧٨

د. أحمد المغازى

الإعلام .. والنقد الفنى

اهداءات ٢٠٠٣

الفنان / إلهامي حسن

القاهرة

كتابك ٧٨

رئيس التحرير أنيس منصور

د . أحمد المغازى

الاعلام .. والنقد الفنى

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

من الطريف أن يجد القارئ هنا مقدمة لكتاب أعتبره أنا – فى ذاته – مجرد مقدمة كبيرة لدراسة أكبر تهدف إلى حلق ألفة جديدة بين القارئ العربى وبين موضوع مستحدث فى الدراسات الإعلامية ، يحظى بجانب كبير من اهتمامى ودراستى . وهو ما يتصل بالإعلام . . والفن ، أو بالإعلام . . والنقد الفنى ، أو الإعلام الفنى عموماً ، وذلك من خلال تحليل شائق وشائك ، وعرض مقل وجامع ، معاً لعملية التذوق الفنى فى مجتمعنا المصرى ، ودلالاتها كنموذج لمجتمعات العالم الثالث والبلاد النامية عموماً .

هذا فى الوقت الذى بدأ فيه الإعلام يفرض ذاته كحق لكل مواطن ، بل كضرورة ملحة ، إلى جانب أن نقاء القيم والقنوات الإعلامية ونزاهتها أصبح مطلباً شرعيًّا دوليًّا «تعقد له المؤتمرات الكبيرة (وآخرها وأهمها مؤتمر اليونسكو ، بنيروبى فى العام الماضى) . ومن هنا أصبح التنافس الدولى يتمثل بصورته الجديدة فى الصراع الإعلامى» وأصبح ما يمكن للجيوش الإعلامية أن تحققه وتنجزه يمثل إنجازاً تعجز عنه الجيوش الجرارة فعلاً ، إنه استعمار الفكر ، استعمار التبعية بالاختيار ، وليس بالقهر .

وتجدر الإشارة هنا فى هذه المقدمة التى قصدت بها التمهيد وليس التلخيص أساساً – إلى أن آخر صيحة من صيحات هذا النوع من الاستعمار غير الاستيطانى إنما هى «الاستعمار الفنى» أو الاستعمار بالإعلام الفنى : وذلك بعد أن باتت الأخبار والمقالات والتحليلات والتعاليم المباشرة مكشوفة ، أو يمكن كشفها بسهولة . وإنه يستحسن أو يلزم قبل الإفصاح عنها عمل تمهيد أو مداعبة أشبه بغسيل المخ العقلى والعاطفى للفرد والجماعة

وبذلك يدخل الاستعمار من الباب هذه المرة ، وليس من الشباك . ويتم استقبال استعمار ضيوف الأفكار الجديدة والمغايرة كأشخاص مرغوب فيهم ، وبدون ضجة ، وإلى ما شاء الله . وبمنتهى الديمقراطية .

على أنه ليس شرطاً أن يكون هذا الاستعمار الفنى خارجيًّا أو محليًّا . وهو فى كل مرة يتدثر ويتخفى بالزى المناسب . وللأمانة – فسيظل الإعلام الفنى بالذات ابتداء من الخطة السرية الشاملة التى يضعها الخبراء ، إلى النقد والنقاد الذين يخاطبون الجمهور العريض مباشرة – سلاحاً فعالاً له أكثر من حد ، وليس بذى حدين فقط : يبنى ويدمرُ ، ويقيم ويطيح معاً !

ومكمن الخطورة هنا أنه من الصعب على المواطن العادى – وربما غير العادى أو غير المتخصص – أن يحدد بدقة اتجاه صواريخ الإعلام الفنى وخصوصاً الإعلام غير المباشر أو المغلف عموماً ، أو يحدد حجم شحناتها

ونوعياتها . أقول :- يصعب أن يحدد هذا وذاك إلا بعد أن تصل إلى أهدافها فعلاً ، أو توشك أن تكون ؛ كما أن من بين هذه الأهداف ما هو قصير مباشر ومنها ما هو بعيد المدى .

ثم إنه لاشك – أن هذه المخاوف والهموم أو الاهتمامات – هى التى ساعدت على تقدم الدراسات الإعلامية والإقبال عليها بصورة مسترعية للنظر ، وذلك ، من جهة أخرى على حساب الإقبال على دراسات الفنون الجميلة والآداب ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يعيش الإعلام أزهى عصوره . إلى جانب أن أدق التنبؤات تشير – كما جاء فى أحدث تقرير صدر هذا العام [1] – إلى استمرار هذا التوسع بنسب متفاوتة فى السنوات القادمة . وهو ما يعنى بالضرورة ، من جهة أخرى – التوسع فى دراسة التخصصات الإعلامية الدقيقة ، ومن بينها

---

(١) وجاء فيه أن عام ٩٧٦ – ١٩٧٧ حقق رقما قياسيا فى معدل التوسع . وقد كانت هذه الزيادة فى معدل خريجى الإعلام هذا العام ٧٧ – ١٩٧٨ بنسبة ٢,٢٦٪ ومما يذكر أن بروفسور «ج . روبك» يرى أن الفنون الإعلامية ، قد استقطبت مشاعر الجماهير والطلاب ، بعد موقفها الإيجابى فى معالجة بعض القضايا العالمية وكشف أنظمة الحكم المتعفنة كما حدث فى فضيحة ووترجيت ، حيث بلغ هذا الاستقطاب الأمريكى ذروته .

• راجع : التقرير الذى كتبه بروفسور PAUL V. PETERSON بجامعة OHIO الأمريكية . وانظر مجلة :

Editor & Publisher-February 14, 1978, New york — Journalism Schools report record 56, 962 enrollment. P. 16.

الإعلام الفنى طبعاً . كما يحدث ونقرأ أيضاً عن الإعلام الدينى أو الإعلام الزراعى . . وما إلى ذلك مما يلبى احتياجات ومعاناة الجماهير إعلاميًّا .

ومع الأسف فإن هذا يحدث فى الوقت الذى تتردد فيه نغمة خطيرة تطالب بإغلاق كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، وتعترض على إنشاء أقسام الإعلام فى الجامعات الأخرى [١] . وفى حين لا يخفى على كل ذى عينين مبصرتين أن هذه الدراسات الإعلامية ، تمثل حاجة ملحة للبلاد النامية قبل غيرها .

ولكننا نواجه مشاكلنا كالعادة بأسلوب من يريح نفسه من عناء تنقية الهواء بالتوقف عن التنفس ذاته . وفى حين كان الأجدر أن تستمر عملية تنقية جونا الإعلامى وعملية التنفس فى آن واحد .

ثم تبقى نقطة أخيرة ، وليست آخرة يجدر التمهيد بها لهذه الدراسة ، وهى أنه إذا كان التليفزيون يحظى حاليًّا بدراسات مختلفة تكشف مميزاته

---

(١) ومن بين هذه النغمات ما طالبت به ندوة الدراسات الإعلامية التى عقدتها جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية – مع تقديرنا لمثل هذه الندوات وبشرط الإخلاص لأهدافها الإعلامية والعلمية – عندما أوصت بإيقاف الدراسات الإعلامية لعدم وجود هيئات التدريس اللازمة (انظر توصيات الندوة التى عقدت فى يناير ١٩٧٧) . وانظر أيضاً مجلة روز اليوسف عدد ٢٦٠٩ – ١٢ من يونيو ١٩٧٨ . مستقبل كلية الإعلام . . والضجة المفتعلة . د . محمود حلمى مصطفى عميد آداب سوهاج .

التأثيرية في الإعلام الفني أو الإعلام الجماهيري المغلف [١] ، إلا أن الكلمة المطبوعة في الصحيفة – كما سنرى – سيظل لها الغلبة في النهاية .

ومن هنا كان تركيزي أولا في هذه الدراسة على دور الصحيفة عموماً ، ودور الصحيفة اليومية بالذات على حركة الإعلام والنقد والتذوق الفني عموماً . وذلك كخط يومي أول للدفاع الإعلامي لدى الجماهير ، وقبل مواجهة خطوط الدفاع الأخرى في الصحيفة الأسبوعية أو الدورية غير اليومية عموماً .

وذلك من خلال ما تقدمه لنا جرائدنا اليومية الثلاث الكبرى . الأهرام والأخبار والجمهورية ، على وجه الخصوص . . وفي فترة زمنية محددة تمثل دور النشأة وملامح التطور الأساسية التي تعتريها فيما بعد ، وما قد يجد عليها من تغيير أو تبديل ، بل إن هذه الصحف قد تفاجئنا مرة أو مرات بملامح جديدة تماماً ، ولكن صورة هذه الملامح الأساسية تظل هي الغالبة والمطلة علينا ولو من بعيد في النهاية .

---

(١) ومن ذلك مثلا أن التذكر عن طريق الرؤية التليفزيونية أسهل وأكبر في التذكر من مجرد التذكر عن طريق السمع فقط ؛ كما أن الإعلام بالصورة يضفي جاذبية على الخبر ، بل إنه يساعد على عدم نفور المتفرج حتى من مشاهدة أخبار الأمس غير الطازجة ، أو التي سبق أن سمعها أو قرأها . انظر مجلة :

Journalism Quarterly — Summer 1977 — Remembering The news: What the picture adds to recall — by: Libukatz, Hanne Adom and pnina parness. P.231.

انظر أيضاً نفس المرجع بعنوان : Perents, children & T.V. — P.275.

وتهدف هذه الدراسة لكل ذلك – إلى محاولة كشف هذه الملامح الأساسية وكيفية إعادة تركيبها ، بل خلقها أحياناً . ولتكون حلقة من حلقات – عاهدت النفس على خوضها ؛ لكى نتعلم ما يمكن أن نسميه بفن أخلاقيات الإعلام الفنى . . أو الإعلام الفنى المضاد . . وبحيث نستطيع أن نتفادى على الأقل ما لا نستطيع أن نقضى عليه أو نواجهه . وهذا أضعف الإيمان .

والله ولى التوفيق

دكتور أحمد المغازى

العلاقة بين التذوق الفنى
والتذوق العام

يجب ألا نغالط أنفسنا أكثر من اللازم – كما تعودنا – ونعى منذ البداية أن تدهور التذوق العام لدينا أصبح ظاهرة مؤسفة ، تتلوى بها وتلوكها ألسنتنا ، وتترجمها حركاتنا ، وتترامز بها إيماءاتنا .

والمحزن هنا أن تترسخ هذه الظاهرة فتصبح عادة . ويعتبر «قلة» الذوق ، سمة اجتماعية من السمات التى يمتاز بها شعب معين . أو فئة بذاتها .

ويجب أن نتعلم كيف نسير بتحليلاتنا ، إلى أبعد من مجرد الأسباب العارضة أو الأمانى الكاذبة ، والأوهام المُسْتَصْدقَة . وأن نعترف بأن تدهور التذوق العام مرتبط بهبوط تذوق عام آخر ، أكمل وأشمل . . وهو «التذوق الفنى» فى حياتنا .

ذلك أن الشعوب تتربى أذواقها من خلال الفنون التى تعيش معها وتعايشها والتى تعبر عنها ، كما تؤثر فيها وتقودها فى الوقت نفسه ! بل إنه بات من الأحكام المسلم بها أن نقول : قل لى : ماذا يشاهد الناس ويسمعون ويقرءون من الفنون – أقول لك ماهى أذواقهم ؟

التذوق الفني والجمال :

والتذوق الفني في معناه البسيط – هو الإحساس بالجمال . ومن ثم الإحساس بالإنسان . والتناغم النفسي ، أو الراحة النفسية التي ربما لا تعرف مصدرها ولكنك تحس بها . وهذا الإحساس ينعكس من ثم على كل تصرفاتك وأفعالك وأقوالك ، فتزيد هي بدورها دلائل الجمال والتناغم من حولك . ومن ثم مرة أخرى تنعكس على إحساسك أكثر شدة وأبعد عمقاً وأشد جذباً .

فالجمال يخلق الجمال ويضاعفه . والماء الزلال في الفم المر المريض – عفن وسفه .

فالتذوق الفني . إذن ، عملية متصلة . وليست عملية لها بداية ونهاية .

التذوق الفني وفقه اللغة :

بل إن كلمة تذوق في اللغة معناها ، أن نتذوق الشيء شيئاً فشيئاً وربما كان مرادفها كلمة تطعم (بتشديد العين وضمها) .

وهي غير كلمة «ذاق» أو «يذوق» . . أو ذوقوا أو أذاق .

فذاق ويذوق مرتبطة بالشر وبالشيء غير الجميل أكثر .

أما كلمة أذاق ، فقد ساقها القرآن الكريم مرتبطة بالخير والشر معا .

وإن ارتبطت بالشر أكثر من الخير أيضا : ومن ذلك قول الله سبحانه :

« أكفرتم بعد إيمانكم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »[١] .

كما يقول عز وجل : « ذوقوا عذاب الحريق »[٢] .

وأيضاً : « وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها »[٣] .

كما ترتبط كلمة « أذاق » أيضاً بالعذاب النفسى – إلى جانب العذاب الجسدى فى قوله تعالى :

« فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر »[٤] .

ومن قولهم : « ذق عقق »[٥] .

ولعل ذلك يرجح قولنا بأن الذائق أيضاً غير المتذوق . وأن « التذوق » غير « الذوق » لأن التذوق بمعنى البطء فى « الذوق » أو الذوق شيئاً فشيئاً . بحيث إنك عندما تتذوق فهذا يعنى أنك تستسيغ شيئاً جميلاً فعلاً . . رائق الطعم والمشاعر وبأنه يلزم لكى يتحقق أثره الطيب أكثر فأكثر أن تتعاطاه ببطء حتى تستشعر طعمه فعلاً وحتى يكون الاقتناع به والاندماج معه أصيلاً بعيداً عن الإيهام أو التأثير السريع بما يعنيه من

---

(١) سورة آل عمران . آية رقم ١٠٦

(٢) سورة آل عمران . آية رقم ١٨١

(٣) سورة الروم . آية رقم ٣٦

(٤) سورة الرمز . آية رقم ٢٦

(٥) وهذا قول أبى سفيان لما رأى حمزة رضى الله عنه مقتولا فى غزوة أحد : أى ذق طعم عقوقك لنا وتركك دين الأوثان إلى دين محمد .

إثارة كاذبة ، وانفعال عابر أو الإحساسات المهوشة عموماً . . تماماً كما يجب أن نتعاطى حقنة الفيتامينات ببطء شديد ؛ حتى تسرى فى الدم حاملة الحياة والنشاط المتجدد . فى مسيرة مقدسة داخل معجزة الحياة النابضة الساكنة . .

أما « الذوق » و « الإذاقة » . . فتحمل معنى الاندفاع والتطرف سواء أكنت أنت الذائق أم المذاق (بضم الميم) .

فالإحساس بالجمال عموماً ، أو التذوق – إذن – يزداد جمالاً كلما توافرت أمام النفس الإنسانية القدرة على الاختيار ، وتلاشت حركات الجبر التى تتمثل فى نوع العمل الواحد الملول . . أو فى نوع العمل المختلف « والمتكرر » – بجزيئاته المحددة . فى نفس الوقت ، الذى لا يلبث أن يحمل هو نفسه صفة أو نوعية العمل الواحد الملول . . من جديد . ولعل من طرائف فقه اللغة الجديرة بالذكر هنا أن قولنا : أنت رجل ذواق وذواقة . والذى شاع استخدامه على سبيل المدح ليس من المدح فى شىء لأن كلمة « ذواق » تعنى الملول . ومنه أيضاً أن قولنا : استذقت الشىء أى لم يعجبنى مخبره بعد أن ذقته وخبرته . ومنه أيضاً قولنا : رجل دواق وامرأة ذواقة : أى أن كلاً منهما سريع النكاح أو الزواج وسريع الطلاق لا يلبث أن يكره ويمد عينه إلى غيره . ولذا ورد فى الحديث الشريف :

« إن الله لا يحب الذواقين والذواقات »

ولعل التذوق بعد كل هذا يكون مرحلة أكمل وأنضج من مرحلة الذوق. كما أن التذوق هنا يلزم لاكتمال الإحساس به توفيرُ جو من الاطمئنان وعدم الفزع الذى قد يضطرنا إلى الذوق أو الالتهام السريع، وهو ما يحول دون الارتشاف البطىء ومن ثم الإحساس الأكمل بالشىء المذاق عموماً كما أشرنا.

التذوق الفنى بين الخوف والحرمان :

فالناس بالنسبة للعمل الفنى الجميل لا يختلف إحساسهم واقعيًّا عنه بالنسبة لإحساس الخائف والجائع أمام تفاحة نضرة : فالخائف لا يحسن «التذوق» لأنه يخاف أن يفقد التفاحة مثلاً . . فيلتهمها بسرعة، والجائع أيضاً لا يحسن التذوق لأنه مدفوع بالشوق والغريزة ليملأ وعاءه . . وكلاهما لا يمكن أن يعطيك حكماً صادقاً على التذوق الحقيقى أو الطعم الأصلى.

وعلى ذلك فإنه إذا تربت الشعوب على أن تحرم كثيراً الإحساس بالجمال أو «تجوع» جماليًّا وفنيًّا . . وكذلك إذا تربت الشعوب على أن تعيش حياة إحساسها الجمالى فيها مهدد بالفقدان والضياع - إذا حدث هذا وذاك . . فإن أحكام التذوق الفنى - وما تعكسه من تأثيرات على التذوق العام الاجتماعى - لا تكون دقيقة سواء فى الإحساس بها أو التعبير عنها وتقويمها.

نعم إننا قد نؤمن بحالات «الالتهام» فى الإحساس بالجمال ، ولكن بشرط أن يسبقها أولاً نوع من تعلم كيفية التربية أو التذوق الفنى الذى يرتشف أو حتى يلتهم ببطء وباقتناع أيضاً . وعموماً . . فإنه حتى حالة الالتهام هذه يلزم أن تنتهى إن آجلاً أو عاجلاً إلى حالة الارتشاف الفنى أو الجمالى البطىء التى تميز الإحساس الفنى الأصيل والواعى بالجمال فعلاً .

فليس معنى أن نعيش فى إظلام فنى أو جمالى ، ثم نفاجئ الناس بوهج من نور الجمال أو العمل الفنى الأصيل أن تحكم على رفض الناس وعدم تجاوبها السريع وتأقلمها مع العمل الفنى الأصيل – بأنه يرجع إلى قصور فنى فى إحساساتها أو إلى عدم جدارتها بالجمال . وهو خطأ يقع فيه كثيرون ويظلمون فيه شعوبهم أيضاً .

ذلك أن الأمر هنالك هو أشبه بضرورة أن تزداد حدة الضوء بعد فترات الإظلام ، ولكن شيئاً فشيئاً ؛ حتى تستعيد العيون لغتها وقدرتها على استيعاب الضوء من جديد .

التذوق الفنى بين النقد والتمييز :

ولعل هذا كله هو الذى جعل كلمة التذوق ترتبط بمعنى «التمييز التى ترتبط بها كلمة «نقد» فى اللغة العربية أيضاً ، وتعنى التمييز بين العملة الفضية أو الذهبية وبين العملة الرديئة أو الزائفة .»

وقد ارتبطت كلمة نقد هذه فى اللغة العربية أيضاً بالمعانى التى اشتقت منها نفسها فى اللغة الأوربية وأصلها اليونانى ، وهو KRINEIN ، ويعنى الحكم والتمييز أيضاً(1) .

معادلة التمييز الفنى :

والحكم والتمييز هنا – فى رأينا – يعنى : توافر الخبرة ، ثم تكوين الفكرة – ثم إصدار الحكم النقدى النهائى – لدى الناقد أو المتذوق للفنون .

وعلى ذلك فعلاقة النقد أو الناقد بالتذوق الفنى – علاقة وثيقة وضرورية ، وتفسيرية وإيجابية وسلبية فى الوقت نفسه .

وسائل الإعلام كمؤثر وسيط فى التذوق الفنى :

وإذا ما تدبرنا كل ذلك نجد أن عملية التذوق الفنى مرتبطة بالفنون بأنواعها من مسرح وسينما ، وموسيقى ، وفن تشكيلى أو ما يدخل تحتها من سحر الكلمة الأدبية والشاعرية طبعا . وكذلك فإذا كان التذوق الفنى يرتبط بالناقد – بالصورة التى أسلفناها – من جهة – فإن هذا يساعد المشاهد ، أو السامع أو القارئ أو المستقبل عموماً على أن يزداد

---

(1) JOHN PAULHAN, Petite Preface Atoute Critique — Paris 1951 — P. 28 — 29.

إحساسه الجمالى بالتذوق الفنى من جهة ثانية .

ومن ناحية ثالثة ، نجد أن هذا المناخ الذى يخلقه التذوق الفنى ، والذى لا يلبث أن ينعكس فى أمزجة الإنسان ، من فكر وقول وعمل — يرتبط بمؤثر قوى فعال فى عصرنا الحاضر ، وهو الوسيلة التى يستعملها الناقد أو الحاكم النقدى المميز . . أو المتذوق الوسيط ؛ ليقدم بها نفسه ويعرف بها مختلف أنواع الفنون للجمهور .

وأعنى بهذا المؤثر «الوسيط» ، وسيلة الإيضاح المتمثلة فى الصحيفة — على وجه الخصوص — كأقوى وسائل الإعلام تأثيراً فى الجماهير ، من حيث التأثير الراسخ الواعى . وذلك إلى جانب وسائل أخرى — وإن كانت أقل فاعلية — مثل النقد فى الإذاعة أو فى التليفزيون ، من خلال ندوة أو حديث أو برنامج معين .

هذا وإن كان من المسلم به أن الأثر الإذاعى أقوى تأثيراً لدى الجماعات التى تقل ثقافتها وتزداد أميتها . وإن كان هذا التأثير[١] يتصف بعدم الثبات من جهة أخرى : ذلك أنه معرض للتأثر أمام أى زائر أو مؤثر جديد آخر . . حتى لو لم يكن أصدق أو أقوى منه أحياناً . فالمسألة هى أن البقاء دائماً لصاحب التأثير أو اللون الأخير .

---

(١) GEORGE GERBER, on Content Analysis and Critical Research. In Dexter and White (EDS) People — OP. CIT. — P.479.

انظر . أحمد المغازى — تطور الصحافة الفنية فى مصر ، وموقفها بين الحركتين الوطنية والفنية من ١٩٢٤ — ١٩٥٢ — مخطوطة — جامعة القاهرة — ١٩٧٥ — ص ٤٣١ .

وسائل الإعلام الفنى كمؤثر اجتماعى :

على أننا يجب أن نسلم هنا أيضاً بأن مضمون وسائل الاتصال الإعلامية الفنية أو الإعلام الفنى بمختلف فنونه له فاعليته فى تكوين الأساليب والأنماط الاجتماعية كما يقول جورج جيربر . وهى مهمة أخطر وأدق . وتتعدى بوضوح مجرد مرحلة فاعلية هذا المضمون الإعلامى الفنى فى تشكيل أنماط التذوق الفنى . أو هى بمعنى آخر : مهمة تالية لمرحلة تشكيل أنماط التذوق الفنى ، من جهة أخرى .

بين المضمون الفنى والمضمون الإعلامى :

إذن فالتأثير على التذوق الفنى هنا يأتى على مرحلتين :

(أ) تأثير المضمون .

(ب) تأثير الوسيلة الإعلامية التى تنقل هذا المضمون ذاته .

وربما تستطيع الوسيلة أن تشوه المضمون تماماً . وربما تعكس أهدافه النبيلة رأساً على عقب ، وهذه هى مواطن الخطورة .

الوسيلة الإعلامية هى الرسالة ، وقراءة فى نظرية «ماكلوهان» :

وربما كان هذا هو الذى دعا عالم الاتصال مارشال ماكلوهان إلى

القول بأن الوسيلة هى الرسالة [١] : أى أن الوسيلة هى الأخرى تحتوى على رسالة أو على تأثير إضافى آخر على المضمون الذى يحتويه الشكل . ولعل ماكلوهان يقصد بذلك تأثير الفنون التكنولوجية والصحفية المستخدمة فى كل وسيلة اتصال على حدة ، ومدى تأثير كل ذلك فى معالجة المضمون الذى تنقله . ومن ثم أثرها على المستقبل للرسالة الإعلامية .

وتنقسم وسائل الإعلام تبعاً لذلك إلى وسائل « باردة » ووسائل « ساخنة » : فالوسيلة الباردة هى التى تسمح لأفكارك وانفعالاتك الحقيقية بأن تظهر وأن تتبلور بصورة محايدة بعيداً عن أية مؤثرات خارجية من طبيعة التكنولوجيا أو المبهرات وعناصر الجذب والاستقطاب والاستغراق ، التى تتميز بها كل وسيلة من وسائل الاتصال ، وسواء أكان ذلك عن طريق الإبهار أو الاستقطاب الذاتى الخاص بالوسيلة ذاتها كتكنولوجيا السينما والتليفزيون وخداع التصوير والصوت والأثر

---

(١) وقد أصدر « ماكلوهان » فى نيويورك عام ١٩٦٧ كتابا يحمل خلاصة نظريته بالعنوان نفسه وهو "The Medium is the Message."

انظر أيضا كتابا صدر له من قبل بعنوان :

Marchal Macluhan

Understanding media — The extensions of man — N.Y. 1964.

والكتاب الأخير ترجمة الدكاترة / خليل صابات ومحمد الجوهرى والسيد الحسينى وسعد لبيب بعنوان « كيف نفهم وسائل الاتصال ؟ » دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٧٥ – راجع الفصل الأول ص ١٦ وما بعدها – انظر أيضا ص ٣٣ .

اللونى أو تكنولوجيا الإرسال الصوتى المجرد فى الإذاعة ومؤثراته الصوتية أو كتكنولوجيا الصحيفة المطبوعة ومؤثراتها الطباعية أو الطيبوغرافية كوثيقة ثابتة أمام العين يمكن مراجعتها ، إلى جانب ما صحب الوسيلة الطباعية أخيراً من فنون الطباعة .والألوان ومؤثرات التصوير الحديث والإخراج كذلك .

هذا وإن كانت السينما والتليفزيون فى رأينا قد اكتسبت صفة يمكن أن نطلق عليها «صفة التجمع الإعلامى» الذى تتمثل فيه مؤثرات الوسيلة الإذاعية (فى الصوت) والمرئية (فى الصورة) والمطبوعة (فى الترجمات المكتوبة . . والتى قد تصاحب العروض المقدمة بلغات أجنبية) .

ولكن بعد كل ذلك تنفرد الوسيلة المطبوعة فى الصحافة بالثبات والتوثيق وبأنها تحت يد القارئ أو المستقبل للوسيلة الإعلامية فى أى وقت ، وبأنه ليس من السهل تزييفها عن طريق «المونتاج» أو التركيب المصنوع للصورة أو للصوت فى الإذاعة أو شريط التسجيل . . الخاص أو العام . .

إذ يبقى الحرف الطباعى ، وبرغم محاولات إدخال عمليات المونتاج الطباعى عليه أو تزييفه أو تزويره – يبقى سيد التوثيق والتصديق فى الوسيلة الإعلامية .

ولهذا لم يكن عبثاً أن الرسالة الإعلامية فى جميع الرسالات السماوية الثلاث نزلت مكتوبة فى التوراة والإنجيل والقرآن وكان قول الله

سبحانه وتعالى :

«اقرأ باسم ربك الذى خلق»[1]

ولهذا شرح وبيان آخر يطول فى بحث خاص لنا عن «الإعلام فى القرآن الكريم أو الله والإعلام» .

كما لا يفوتنا هنا أن ننوه إلى النوع (الثانى) من الاستقطاب الذاتى «للوسيلة الإعلامية» والذى لم يشر إليه ماكلوهان صراحة على الرغم من أنه يشكل فى الشق الآخر الأساس فى التأثير الذاتى للوسيلة الإعلامية «كرسالة مستقلة ونقصد به استقطاب المضمون النوعى» . وهو المضمون الذى يختلف ويتنوع باختلاف كل وسيلة على حدة ، ذلك أن الموضوع الذى تصلح معالجته فى السينما غيره فى التليفزيون غيره فى الإذاعة أو المسرح وما إلى ذلك . فلكل وسيلة اتصال فن العرض والتقديم أو ما يمكن أن نسميه الفن الصحفى الخاص بكل منها . هذا إذا أردنا أن يحقق كل موضوع يقدم للجمهور فى كل وسيلة من وسائل الإعلام الهدف والتأثير الذى نرجوه وننتظره له ، ومهما كانت إيجابيات أو سلبيات هذا الهدف : ذلك أن تقويم الإيجابية أو السلبية فى العمل الإعلامى مسألة نسبية وقضية تتصل بأخلاقيات الإعلام ووظيفته الاجتماعية ورسالته الإنسانية عموماً .

وحتى إذا أردنا أن نعالج موضوعاً واحداً فى أكثر من وسيلة من

---

(١) سورة العلق . آية رقم (١) .

وسائل الاتصال فلابد أن نحترم فن السيناريو والحوار والإخراج ونوعية الجمهور ومكانه وزمانه الخاص بكل وسيلة على حدة . إلى جانب علاقة هذا الأثر أو النتائج الإعلامية أو الجماهيرية التى تحصل عليها بالمؤثرات الإعلامية الأخرى المعاكسة ، وسواء فى الداخل أو الخارج . إنها دنيا الإعلام المملوءة بالغرائب والطرائف معاً ، وفى عصر أصبح يسمى عصر الإعلام ووسائل الاتصال . هذا الاتصال الإعلامى الذى كاد يقضى تماماً على البعد الجغرافى والبعد الفكرى أو النفسى وأصبح العالم أشبه بقبيلة كبيرة أو بقرية عالمية Global Village كما يقولون .

وخلاصة القول كما يقول ماكلوهان أن وسيلة الإعلام باردة فى طبيعتها وذاتها ولكنها ساخنة فى تأثيرها الإعلامى المحايد والموضوعى .

إذ ليس المقصود من التأثير الإعلامى فقط أن يستأثر بالمستقبل الإعلامى أو الجمهور ، ولكن أن يكون تأثيره هذا عليه إيجابيًّا وفعالاً ومفيداً للأسرة الاجتماعية القومية والإنسانية عموماً .

وعلى ذلك فنحن مع «ماكلوهان» فى ضرورة المحافظة على ما يمكن أن نسميه بالاحتفاظ بالجمهور فى حالة وعى إعلامى دائم .

أما أن نلف وندور ونغالط فى محاولة للاستقطاب الذاتى بنوعيه – كما سنرى – عن طريق وسيلة الإعلام فى ذاتها – فهذا خلط وتشويه ومسخ لرسالة الإعلام ذاتها ، وفى هذه الحالة تصبح قوة تأثير الوسيلة أو الرسالة

الإعلامية ذاتها نكسة ، وهى هنا أشبه بوضع السم فى العسل للجمهور !

ومن السهل هنا أن يصنف القارئ العادى وسائل الاتصال وفق نظرية «ماكلوهان» فى السخونة والبرودة الإعلامية : فنجد هنا أن السينما والتليفزيون من الوسائل الساخنة فى ذاتها ، ولكنها باردة فى حد إعلامها ؛ لأن المشاهد يحتاج إلى وقت أو جهد أكبر لانتشال نفسه من الاستغراق فيها . وهذا من السهل أن تلاحظه بنفسك وأنت فى جلسة أو سهرة عائلية أمام التليفزيون أو فى مقعد فى دار للسينما .

وهذا يمثل فى رأينا تحذيراً جديداً أمام خطورة انتشار التليفزيون والسينما فى عصر الاتصال الحديث وإن كنا نضاعف هذا التحذير مرة أخرى ومرات بالنسبة لهذا الاستغراق أو الاستقطاب المضاعف الذى يمثله انتشار التليفزيون والسينما والمسرح أيضاً فى المجتمعات المتخلفة وفى المجتمعات الأمية قرائيًّا وكتابيًّا وثقافيًّا وإبداعياً ومايعنيه ذلك من ضرورة التدقيق فى التعامل معها ، وكذلك فى التوعية الثقافية والإعلامية عموما .

وبهذا المفهوم أيضاً نجد أن الصحيفة أو الوسيلة المطبوعة وسيلة باردة فى ذاتها ، ولكنها ساخنة فى حد إعلامها كما نرى . وهذا هو ما يؤكد فى النهاية خطورة الإعلام والنقد الفنى أو الإعلام والتذوق الفنى : ذلك أن المعالجة المكتوبة والمطبوعة لقضايا الفن عن طريق الناقد الفنى هى التى ستربى الجمهور المتذوق للفن تذوقاً سليما ومن ثم تحقق جدوى الفن ذاته فى حياتنا كما ترى .

الناقد الفنى الذاتى والإعلامى :

إن عشرات النصائح والكلمات المجردة التى تدعو إلى الصدق والوفاء والكرامة الوطنية لا يمكن فى الواقع أن تقف على قدم المساواة مع عمل فنى جليل يدعوك باقتناع واختيار وحب إلى الإيمان بهذه القيم التى يساعد النقد الفنى على إجلائها وتسكينها فى ضمير التذوق الفنى والاجتماعى العام ، وتبصير القارئ بالتأكيد عليها . وهو ما يمكن أن يحول القارئ فى النهاية إلى ما يمكن أن نسميه ناقداً فنيًّا ذاتيًّا للفنون . وبحيث لا يمكن أن يضحك عليه الناقد المحترف فيما بعد ، فيقدم له الغث على أنه السمين وذلك فى حالة إصابة الإحساس الجمالى لدى الناقد الفنى المحترف بالتشويه والخلل !

التذوق الفنى والدورية الإعلامية :

على أن النقد الفنى الذى نعنى بتأثيره فى هذه الدراسة السريعة — على التذوق الفنى والاجتماعى العام ، وتدهوره عندنا — هو النقد الذى يحمله لواء الصحافة اليومية ، وبرغم ضآلة حجمه بالنسبة لما ينشر فى الصحف والمجلات المتخصصة الأسبوعية أو الدورية عموماً :

ذلك أن جرعة التذوق الفنى فى الصحافة اليومية تتسم بالاستمرار أو التكرار فى الكم والنوع . وهذا التكرار هو الذى يحدث الأثر العميق

المستمر . وعلى قدر هذا الأثر بالتالى يتحدد مصير اهتمام القارئ أو المستقبل للفنون أو درجة التذوق الفنى الأخرى فى الصحافة الدورية غير اليومية .

فالقارئ – على وجه الخصوص – يتعلم فى هذه الصحف اليومية قبل أن ينتقل إلى غيرها ، على مدار الأسبوع أو الشهر مثلا .

الإعلام الفنى اليومى بين الأصالة والمعاصرة :

فإذا كان الإعلام الفنى فى الصحافة اليومية يميل بلا شك إلى تقديم الجديد الذى ترتبط به الجماهير دائماً ، أو تسعى إليه والذى يعتبر جزءاً من مقومات تطورها الدائب – إذا كان الأمر كذلك – فهذا فى نظرنا لا يعفى مسئوليات الإعلام الفنى اليومى من تهيئة ذهن الجمهور أيضاً لتلقى هذا الوافد الجديد والقدرة على الانتقاء منه ، وكيفية التأقلم معه – بنفس الطريقة التى يستعد بها رواد الفضاء مثلاً عندما يرتادون أرضاً غير الأرض وسماء غير السماء .

ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نضع فى الاعتبار جيداً ونحن نلهث وراء الجديد قول شرام بتجاربه الرائدة فى الإعلام النامى ضرورة ألا نتنكر لتراثنا الثقافى الأصيل كلية ، وألا ننآى بجانبنا بعيداً عن تقاليدنا أو دوافعنا الأصيلة [١]

(١) Schram W.— Communication in Modern Society— Urbans. University Illinois Press— 1948— P. 148. =

وفى حقيقة الأمر ، فإن الذين يغالون فى النظر إلى المستقبل فقط ، إنما ينسون أن المستقبل ما هو إلا انتساب حتمى إلى الماضى أساساً . بل إن الحاضر ، فى رأينا أيضاً ما هو إلا نوع من الماضى القريب فى الأصل أيضاً . وعلى ذلك يكون المستقبل نوعاً من الماضى المقبل : ذلك أن من ناموس الكون أن يكون العمر ماضياً . . عندما تأتى اللحظة التى تتوقف فيها الحياة .

وعلى قدر الموازنة بين حلقات الزمن الثلاث – يكون الاستقرار الاجتماعى الذى يلزم أن تدعمه الصحافة اليومية وغير اليومية ، وتخلقه خلقاً ، وذلك من خلال الإعلام الفنى وغير الفنى عموماً .

وفى الوقت نفسه فإنه يلزم كذلك أن نحذر من عمليات التسخير والدعاية فى التذوق الفنى ، عندما يهدف النقد اليومى إلى نشر تذوق فنى معين ولغرض سياسى واجتماعى معين[1] وعن طريق أساليب إعلامية وفنية لا مجال لذكرها هنا .

والحقيقة أن الفنون إن اتصلت بالنفس البشرية ومعاملاتها العاطفية أساساً فى إطار الشكل الفنى ومقومات التكنيك الذى يختلف من فن

= انظر د . أحمد المغازى – تطور الصحافة الفنية فى مصر وموقفها الإعلامى . . إلخ (المرجع السابق) ص ٤٣٥ .

(١) دكتور أحمد المغازى – المرجع السابق والمكان نفسه .

مسرحى إلى فن سينمائى والمعروفة باسم «الفنون الثسبيانية»[١] إلى خطوط لونية بحتة فى الفن التشكيلى أو إلى خطوط هارمونية وإيقاعية صوتية فى الفن الموسيقى وما يتصل بها - أقول إنه إلى جانب التذوق الجمالى لكل هذه الأشكال الفنية - فإن المضمون الفكرى لهذه الفنون على اختلافها يظل قائماً وفعالاً .

والمضمون الفكرى المقصود هنا ، بالطبع هو المضمون الإعلامى الذى نسعى إلى توصيله للجماهير ، إيجابيًّا أو سلبيًّا ، وتضاليًّا أو استسلاميًّا ، على حد سواء . بل إن مجرد التركيبات اللونية أو الصوتية يمكن أن تثير فى النفس البشرية مضموناً فكريًّا بذاته أو انفعالات معينة يمكن توظيفها لخدمة غرض دعائى أو إعلامى محدد .

وعلى ذلك ، فإن مجالاً كهذا ، من مجالات التأثير العقلى والقلبى معاً على الجماهير - لا يمكن أن يُترك له الحبل على الغارب ، كما أنه يمكن أن نغفل النظر والتبصر فى إرهاصاته الأولى التى تنشر فى الصحافة اليومية ، وحيث تتخلق «أجنة» التذوق الفنى والاجتماعى العام لدى الجماهير العريضة . .

التذوق الفنى والتكامل الإعلامى :

وصحيح أن المجلات الفنية المتخصصة ، فى صورتها المثالية أو المفروضة تصبح مجالاً متكاملاً وفعالاً لتطوير حركات الإعلام الفنى

---

(١) Thespian والمقصود بها الفنون الدرامية .

وتأصيله . ولكن لا يصح أن ننسى إذن – أن قارئ هذه الصحف المتخصصة أصلاً قارئ عميق لا يمكن اتهامه بنقص فى تذوقه الفنى – وإن اختلفت مشاربه طبعاً – بل إن تعامل مثل هذا القارئ العميق أو المتخصص مع هذه الصحف المتخصصة يكون من باب صقل هذا التذوق والبحث عن التزود من كل ما هو راق ورفيع .

ولهذا تراه يسعى بنفسه إلى مجلته المتخصصة ويعايشها .

ومن جهة أخرى فإنه يمكن تحقيق المزيد من النفع هنا . إذا ما نجحنا فى خلق إعلام فنى ابتدائى أو تمهيدى فى الصحف اليومية بأساليب معينة – ستتعرض لها فيما بعد .

وهذا الإعلام الفنى الابتدائى هو الذى يسعى إلى القارئ إذن فيستجلبه أو حتى يوقعه فى حبائله البدائية ، ولكن بشرط ألا يستخف به فى النهاية .

وفى غمار هذا النوع من الإعلام اليومى يتربى القارئ العادى أو يتعلم كيف يتعامل مع والوجبات الفنية الدسمة التى سيواجهها فى الصحافة المتخصصة ، وكيف يهيئ نفسه إعلاميًّا وفنيًّا لاستيعابها وهضمها كمتذوق فنى مبتدئ ؟

وذلك إلى جانب ارتباط القارئ المتخصص بأهم المجريات وسير حركتها فى الإعلام الفنى اليومى . . وبحيث يلزم أن يتأكد دائماً الدورُ التربوى الرائد فى عملية التذوق الفنى بجرعاته اليومية العامة ، أو بجرعاته

المكثفة المتخصصة .

وبذلك يمكن أن يصبح التذوق الفنى العميق أو المتخصص فى النهاية سمة بارزة أو عادة من سمات حياتنا جميعاً . أو يتحول التذوق الفنى إلى نوع من الاستمتاع القومى العام أو الرياضة الشعبية العامة .

إن بداخل كل إنسان منا بحق - فناناً أصيلاً مهما اختلفت فينا المهن أو المحن : وكل ما هنالك أنه يمكن القول بأن ثمة إنساناً يستطيع أن يتذوق الفن ويفرزه فى آن واحد ؛ كما أن ثمة إنساناً يتذوق الفن فقط .

فليس كل متذوق للفن بمفرز للفن أو خالقه أو مبدعه فى الوقت نفسه .

والحق أقول : إننا لم نستغل بعد هذه الطاقة الفنية أو المقدرة على التذوق الفنى فى نفوسنا وتشكيل حياتنا .

الإعلام الفنى فى الدول النامية

ومن ناحية أخرى فإنه إذا كانت حياة الشعوب تختلف من شعب إلى شعب فإن هذا يلقى من ثم بمسئوليات معينة على الإعلام الفنى الذى نعنيه .

ثم إنه إذا كان الأمر يتصل بشعب كشعبنا فإن هذا أدعى إلى أن نضيف صفة «الجسيمة» إلى المسئوليات الإعلامية الفنية فى بلدنا عموماً . وعلى ذلك فإنه يلزم أن نعى تماماً الظروف والأمانى والعقد المتميزة التى ترتبط بدول العالم الثالث أو المتخلف أو الدول النامية كما تحب أن تسمى هى نفسها . وإن كنت أميل إلى تسميتها الدول النائمة لكثرة ما تراخت فى التمسك بحقوقها والثقة بقدراتها الذاتية الفائقة ، وإن كان لا يصح أن نغفل هنا مرارة المثبطات والمعوقات التى تحاول أن تخلقها أو توقظها الدول المتقدمة وبذكاء تحسد عليه - فى صفوف الدول النامية : ذلك أن ثمة فارقاً بين السلام والاستسلام . . بين الخنوع والخشوع . . بين صمت الصبر وصمت القبر . ومن رحمة الله أنه لم يحدث أن ضن الله بالنجاح على كل من أخلص فى السعى إليه فعلاً .

ومن هنا فإن تقدم هذه الدول يرجع من ناحية أخرى - إلى استمرار تراجع الدول النامية أكثر مما يرجع إلى تصاعد الدول المتقدمة ذاتها .

ذلك أن التقدم الإنسانى والحقيقى الكامل إنما يتمثل فى الأخذ بصدق بيد كل دولة نامية حتى تكبر وتتقدم . كما أنه يتمثل أيضاً فى أن يصبح العالم مملوءاً بأكثر من كتلة متقدمة فعلاً . وأن يتمثل هذا التقدم أكثر وأكثر فى أن يكون التعاون بين الكتل المتقدمة تعامل التعارف والتعاون والتنافس الشريف ، وليس تعامل الغابة والابتلاع والاستقطاب . وهنا نصل إلى التقدم الإنسانى المنشود وليس إلى مجرد التقدم القومى المتعصب الذى لا يلبث أن يتهاوى ويتراجع ، إنه ذلك التقدم الذى ذكره القرآن الكريم بقوله : «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» [١] ومن هنا فإنه إذا كان التقدم الإنسانى فى عرفنا يلزم أن يقوم على هذا التعارف» فإنه يلزم أيضاً أن يقوم على الاختلاف . وهو هذا الاختلاف المشروع كما جاء فى القرآن الكريم : «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين» [٢] .

ذلك أن الاختلاف هو الذى يوجد التعارف أساساً . وأن المتشابهين لا يتعارفان ولكن يتطابقان . كما أن المتشابهين لا يتنافسان ولكن يتراكمان . . ومن هنا يكون الاختلاف اختلافاً تكامليًّا وليس اختلافاً فرديًّا أو أنانيًّا كما هو صائر .

---

(١) سورة الحجرات . آية رقم ١٣

(٢) سورة الروم . آية رقم ٢٢

ومن كل ذلك ، فإن الذى يعنينى هو أن نفصّل لأنفسنا ونحن نحتك بالعالم وتياراته إعلاميًّا ودراميًّا أو فنيًّا – الثوب الذى يناسب أجسامنا وإحساساتنا ، والفكر الذى لا يتصارع داخل أدمغتنا !

فلا نحقد على الذين سبقوننا بالجديد وبالأصيل . ولا يغمرنا حنين دوجماتيكى [1] متحجر نتمسك فيه بأسمال فكرية وحضارية بالية ، أدت دورها وأفرزت جل عصاراتها وبلغت غاية آفاقها ، ولم يبق منها غير قشورها وذيولها . . وهذا كله لمجرد أنها أسمالنا .

إنه يلزم بين الحين والحين أن نثور على أنفسنا وأن تكون لدينا الشجاعة التى نغير بها جلودنا التى تضيق على تطورنا ونمونا من قبل أن نختنق بها ، ذلك أن البقاء فى نهاية الأمر للأقوى هنا . كمبدأ مسلم به . غير أن هذا الأقوى يلزم أن يكون هو الأصلح ليستمر انتصاره . بل إنه لا يكون الأقوى إلا إذا كان الأصلح بحق .

وإذا كنا نرى أن هذا هو المبدأ السائد فعلاً فى « بيولوجيا » الحياة ، فإنه يسود أيضا فى « البيولوجيا » الإعلامية والفنية ، فى آن واحد ، ومهما استطاعت هذه الدواب الضعيفة أو الظواهر الدخيلة – أن تسرق مكانها على القمة أو تطمس لون الحقيقة وتزهق نبضها الزاعق والحى دائما – فليكن مبدؤنا وحادينا إذن ونحن نخلق تذوقنا وإعلامنا الفنى المتميز – هو الصالح بالصالح وللصالح !

---

(١) Dogmatic

وبهذا نبتعد عن القبيلة والتعصب ، ونقترب من الكونية والشمولية . ومعنى هذا ، أن نقترب أكثر ، وباطراد من التقدم والكمال فى كافة المجالات ، ذلك أنه بسلامة الإعلام يسلم العقل ، وبسلامة الفن يسلم القلب . ويسلم التذوق الفنى والتذوق الاجتماعى العام من ثم . ويكون ما يمكن أن نسميه «بالسعادة القومية» .

التلقائية فى الإعلام الفنى :

ولعل الذى يتأكد لنا من كل ما سقناه هو أن أزمة الإعلام الفنى فى الصحافة المصرية وانعكاساتها لها جذورها التى تضرب بعيداً فى مجريات المسئولية السياسية والقومية التى توجه الفنون فى بلدنا . وبحيث لا يصح أن يخضع الإعلام الفنى فى حياتنا لأهواء تلقائية تعكس مجرد أمزجة كاتبيه ، أو لأغراض مسمومة بذاتها تخدم مصالح استعمارية أو عملية خفية ، هدفها «التكتيكى» صياغة ملونة أو مشوهة أو تابعة ، لا استقامة فيها ولا استقلال .

مقدمات علمية لابد منها :

على أنه يلزم هنا لكى نتكلم بلغة فكرية ورمزية محددة أن نتفق منذ البداية على مفهوم واحد بالنسبة للمفردات والمصطلحات التى سنتعامل معها فى هذه الدراسة على ما فيها من تكثيف وإيجاز حتى نصل ما بين أطرافهاالأساسية .

ذلك أننا سنعنى باصطلاح الإعلام الفنى فى الصحافة اليومية هنا ، الأركان الفنية وما قد تصدره من ملاحق فنية ثابتة فى صورة منفصلة ، أو متصلة ضمن صفحاتها العادية بما تعنيه من جرعة إعلامية فنية محددة .

أما الحجم الزمنى لهذه الدراسة فسنقصره على فترة معاصرة بالذات عشناها فى الآونة الأخيرة ترجع بداياتها الحقيقية إلى أواخر عام ١٩٧٥ ، وأواخر عام ١٩٧٦ وهى الفترة التى بدأ فيها الاهتمام واضحاً ومباشراً بالإصدارات الفنية المتخصصة . وإن كانت هذه الفترة ستتصل ببعض الجذور العميقة ، هنا وهناك . . وهذه الفترة تتميز هنا بأنها فترة الريادة ، وهى فترة لابد أن تواجه متغيرات لاحقة فيما بعد ، إيجابيًّا أو سلبيًّا – وهذا يحتاج إلى دراسة أوسع فيما بعد – ولكننا عموماً من دفعة البداية يمكن أن نتنبأ أو نستشف خطوط النهاية . ومن حجم الأساس يمكن أن نتوقع درجة الشموخ والارتفاع ، ومن فخامة الجذور وصحتها يمكن أن نحدد نوع الفروع وجودة الثمار . اللهم إلا إذا حدثت طفرات ومعجزات . وإن كنا نحترمها كاستثناء إلا أنه لا يصح أن نعاملها كقاعدة يومية . وعموماً فبذرة القرع أو البرتقال لا يمكن أن تطرح بطيخاً أو تفاحاً . . ولكن تطرح برتقالاً محسنا أو قرعاً متطوراً على أحسن تقدير .

ثم يكون الحجم الكمى لدراستنا بعد ذلك مقتصراً على الصحف الثلاث الرئيسية وهى الأهرام والأخبار والجمهورية .

جريدة الأخبار :

ولعل جريدة الأخبار تكون قد سبقت إلى تحديد الشكل الخاص بالأركان الصحفية فى صفحاتها ، وذلك فى نطاق سياستها الإخبارية الحديثة والتلغرافية المميزة منذ صدورها عام ١٩٥٢ [1] عندما قدمت لنا أركان الصفحة الأخيرة المتنوعة وكان من بينها ركن « أخبار الفن » . وذلك قبل أن يبدأ صدور الملحق الأدبى والفنى فى ٣٠ يونيو عام ١٩٦٩ [2] فى الجريدة نفسها على حين ظل يصدر أيضاً ركن « فن وثقافة » فى الصفحة الثانية ، وهو الذى حل فيما بعد محل ركن أخبار الفن .

كل هذا ، إلى جانب ظهور ركن آخر بعنوان : « للنقد فقط » [3] ثم انتهى تسابق ظهور هذه الأركان بزميل آخر هو ركن « الساعة التاسعة » [4] ، هذا وإن كان الركنان الآخران يحملان صفة العمود أكثر مما يحملان صفة « الركن المتنوع » ؛ فهما يعكسان وجهة نظر محررهما فى المقام الأول : ذلك أنه من صفات الركن الصحفى عموماً أنه أشبه

---

(١) صدرت جريدة الأخبار فى ١٥ يونيو عام ١٩٥٢ باسم «الأخبار الجديدة» .

(٢) ويحرره رشدى صالح الذى ظل يحرر أيضا ركن «فن وثقافة» .

(٣) ويحرره عبد الفتاح البارودى وهو الذى كان يحرر ركن أخبار الفن .

(٤) وتحرره سناء فتح الله .

«بصحيفة مضغوطة» يتنوع فيها المادة الصحفية : من الرأى ، إلى الخبر ، إلى التثقيف . . وما إلى ذلك . وبصفة أساسية فإن الركن الص... يأخذ فى اعتباره أساساً رأى الجمهور أكثر مما يأخذ رأى الكاتب المفرد .

وبالنسبة لجريدة الأخبار أيضاً – نجد أن الصورة تصبح أكثر تحديداً ، عندما يتوقف صدور الملحق الأدبى والفنى ، وينقسم إلى ملحق ذى ثلاث شعب صدرت تباعا كل شعبة صفحة واحدة . وهى :

ملحق «أخبار السينما» – وصدر فى ٢١ من أكتوبر عام ١٩٧٥ م [١] .

ملحق «أخبار المسرح» – وصدر فى بدايات عام ١٩٧٦ [٢] .

ملحق «أخبار الأدب» – وصدر فى ١٢ من أكتوبر عام ١٩٧٦ [٣] .

وإلى جانب هذا نشرت الأخبار ملحقاً إضافيا آخر عبارة عن صفحة واحدة مقلوبة أو أفقية فى إخراجها وطريقة جمع حروفها . وذلك من باب التغيير الذى لا يلبث أن يستبدل مللاً بملل آخر إذا ما افتقد صفة التطور الحقيقى .

وكانت هذه الصفحة المقلوبة بعنوان : مختارات من برامج

---

(١) ويحرره أحمد صالح .

(٢) ويحرره حسن عبد الرسول .

(٣) ويحرره حسن شاه .

التليفزيون لمدة أسبوع من الأحد إلى السبت . وبدأ ظهورها بعد ظهور أخبار السينما بخمسة أيام فقط فى ٢٦ من أكتوبر عام ١٩٧٥ .

ولعل تكثيف صدور الأركان والملاحق الفنية من الأحداث الصحفية والإعلامية المسترعية للنظر فعلاً خلال هذه الفترة الوجيزة . ولعله يمثل نوعاً من رغبة الصحف فى التسابق والتجديد عندما تعوزها الأخبار الجماهيرية أو الأحداث الكبيرة الجديدة على المستوى المحلى أو العالمى وتصير المادة الصحفية عموماً ملولة ومعادة . وهنا تتنبه الصحف إلى دورها الذى نسيته أو الذى أهملته فى كثير أو قليل . بالنسبة لمسئوليتها فى الإعلام الفنى والتثقيفى الرائد والأساسى . هذا وإن كنا قد نلحظ مع الأسف أن بعض التغييرات فى المضمون والشكل الإعلامى ربما ترتبط أحياناً بمجرد تعيين قيادة جديدة أو رحيل قيادة قديمة . . وأن الأمر رهن بأمور الصدفة والقدر ليس غير ، دون أن يرتبط أساساً بتخطيط متكامل ذى ميقات وبقدر . وهو مالا مجال للتفصيل فيه . ويصبح السيد هنا هو رقم التوزيع الكمى وليس الكم الكيفى أيضاً .

جريدة الأهرام :

أما جريدة الأهرام فلم تنشط فيها سياسة نشر الأركان المتنوعة إلا مؤخراً جدًّا كما نرى . وكان نصيب الفن فيها ملحقاً أسبوعيًّا من صفحتين بعنوان : «الفن فى أسبوع» طالعناه فى ٧ من أغسطس ١٩٧٦ .

جريدة الجمهورية :

ثم تأتى الجمهورية فى المؤخرة – فى تلك الفترة التى نعنيها بدراستنا بالذات بالنسبة للاهتمام بالأركان الفنية المتخصصة وإن كانت قد حاولت تعويض ذلك بنشر مقالات فنية بين الحين والحين . . وبالذات فى عددها الأسبوعى . فنرى أخبار الفن وحوادثه تنصب فى ركن «أخبار النجوم» الذى ارتبط بالعدد الأسبوعى فى صباح كل خميس ، وكذلك فى ركن يومى باسم «سينما * مسرح * إذاعة * تليفزيون» .

هذا إن كانت هذه التغطية تميل إلى مضمون القيل والقال غالباً دون أن ترتفع إلى المستوى الإخبارى والتحليلى المطلوب .

الأركان والملاحق كفن إعلامى :

وفى الوقت نفسه ، فإن الأركان الصحفية والملاحق ينبغى ألا تنظر إليها الصحيفة كوسيلة إخراجية فقط ، لتجميل شكل الصفحات ، أو حفظ توازنها ، أو إرضاء لنزعات بعض ممن يدعون بكبار محرريها : ذلك أنه يلزم أن يحدد الركن أو الملحق اسم كاتبه من حيث إمكانياته ومواصفاته منذ البدية ، وليس أن يفصل الركن أو الملحق على مقاس صاحبه . . إن القارئ هو الذى يجب أن يحدد نوعية الكاتب الذى يحتاج إليه أولا ، وعلى الكاتب بعد ذلك أن يأخذ بيد قارئه ، ويكون

عليه هو فى هذه المرة أن يحدد قارئه ويبلوره بعد أن تكون لغة التفاهم والثقة بينهما قد تأكدت ووضحت تماما بدلا من أن يفرض الكاتب على القراء فرضا .

ومن جهة أخرى فإن الركن أو الملحق المتخصص ليس مقصوراً فقط على القارئ المتخصص ؛ كما قد يظن بعض : ذلك أن القارئ العادى قد ينزلق بغير قصد عبر أسوار هذه الأركان وبراويزها فيسقط داخل سطورها ، فتظل تتقاذفه وتتجاذبه بقصد أو بغير قصد ، حتى لو لم تكن تعنيه اهتماماتها أساساً .

وأكثر من ذلك فإن القارئ قد يكشف فجأة أهليته لقراءة المادة المتخصصة فى الصحيفة اليومية ، واستيعابها بصورة أعمق فعلاً . وهو ما يخلق لديه «اهتماماً قرائيًّا» جديداً ، بما يدعم ثقافته العامة . وهذا فى حد ذاته كسبٌ إعلامى جديد واجبنا أن نحافظ عليه ونسعى إليه .

وبالنسبة للإعلام الفنى على وجه الخصوص ، فإنه من النوع الخاص العام فى آن واحد : ذلك أنه لا يوجد شخص مهما كانت اهتماماته يحب ألا يشاهد . . أو يقرأ . . أو يسمع عملاً فنياً من أى نوع إذا ما تركناه على سجيته الأصيلة الصافية . إن الفن الصادق ما هو إلا النفس البشرية ذاتها . ومن منا لا يحب ألا يؤانس نفسه ويعايشها ويتكشفها فى أى صورة كانت ، فى أحسن تقويم أو فى أسفل سافلين .

الإعلام الفنى اليومى
بين التحليل والتمثيل

والآن : ماذا نجد عندما نستعرض معاً ما نقرؤه فى صحفنا ، وبعد تطبيق هذه المقاييس التى ذكرناها ؟ إننا نكتفى بما يلى :

أولاً – افتقاد الخطة التحريرية :

عدم وجود خطة محكمة تسير عليها هذه الأركان فى سياسة تحريرها ، كل على حدة ، من جهة ثم عدم وجود خطة تنسيق بين الأركان والملاحق الفنية المختلفة فى الصحيفة الواحدة من جهة أخرى . وهو ما يؤدى إلى التكرار ، وإلى تشتيت الجهود ، وعدم التوصل إلى درجة التكثيف المطلوبة للتسامى الفنى والثقافى ومن ثم لتحقيق الهدف الإعلامى . اللهم إلا إذا كان المقصود بالهدف الإعلامى هو التشتيت والتجهيل «وتحطيط» التذوق العام فنيًّا وجماهيريًّا .

وربما كان هذا هو ما أدى إلى كثرة التغيير فى سياسة وشكل هذه الأركان والملاحق بصورة لا تعنى التطوير أساساً ، ولكنْ وفقاً لتغيير الأشخاص غالباً ، إلى جانب أن سياسة كسر الملل لدى القارئ التى قد يتذرع بها بعض لا تعنى مجرد إعادة ترتيب المكان ، ولكنها تعنى أساساً

توظيف هذا التغيير بما يحقق فائدة أكبر فى الوقت نفسه ، أو على الأقل لا يكون التغيير إلى الخلف . أو خطوة إلى الأمام ، وخطوتين إلى الخلف !

ثم إنه بينما صدر الملحق الفنى والأدبى فى ثمانى صفحات بالحجم النصفى فى بداية ظهوره – فإن أبوابه بدأت تفتقد ثباتها . ثم راح يفتقد شكله الذى ظهر به بعد ثلاثة أشهر فقط من صدوره . آخذين فى الاعتبار – فى الوقت نفسه – أنه يصدر أربع مرات شهريا فقط : أى أنه تحول إلى أربع صفحات عادية . ثم باتت مواده على المشاع . ثم يفقد صفة التبويب التى ترتبط بدورية الركن أو الملحق الصحفى . ثم بعد ذلك يتحول إلى صفحتين فقط . ثم ينتهى ظهوره إلى الأبد فى ثنايا صدور «أخبار السينما . . وأخبار المسرح . . وأخبار الأدب . والله يعلم بما يستجد بعد ذلك .

وفى حين أن من المنطق أن نبدأ صغاراً ثم نكبر . وليس العكس . وكأننا نبدأ الأمور من نهاياتها – إننى مؤمن بأن الكبير لا يمكن أن يظل كبيراً . . /وأن الثمرة لا يمكن أن تظل يانعة ناضجة إلى الأبد ، ولكن الأزمة عندنا وفى الإعلام الفنى عموماً أن ثمارنا تتساقط على الأرض قبل أن تنضج وتينع فى انتظار آكليها والمحتاجين إليها ! ذلك أن التغيير عندنا جزرى وليس بجذرى : أى تغيير قطع وليس تغيير نفع . إننا نشيخ على حين أننا فى الواقع لم نتعد كوننا أطفالاً بعد ! كيف ؟

ثانياً – خداع المضمون الإعلامي :

تميز التحرير الفني في صحافتنا اليومية بخداع المضمون وقصوره بالتالي . ولعل هذه النقطة تمثل أساس تخلفه بما سوف يترتب عليها من أخطاء أخرى . كما سنرى .

فقد حاولت الصحف معالجة القضايا الفنية التي تجتذب عناوينها القراء . وبحيث تجهز نفسك ووقتك لسهرة مع هذا المقال أو ذاك ثم تصاب بخيبة أمل في كثير من الأحيان أو تكتشف أن الإعلام الفني لم يتجاوز الحال أو الشكوى التي ارتبطت به منذ أواخر الستينيات وهي الكثير جداً من الحبكة أو الحدوتة ، والقليل جداً من النواحي التكنيكية والفنية المستحدثة ، والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمضمون الفكري الذي تنقله ؛ ولذلك فإنه إذا كانت الطبقات المتعلمة – برغم قلتها في مصر – تستطيع أن تعوض لنفسها بما لديها من ثقافة – هذا النقص فإن الجماهير العريضة هي التي عانت من أزمة الإعلام الفني أكثر من غيرها ومن تدهور التذوق الاجتماعي العام : ذلك أن هذه الجماهير العريضة تحتاج أكثر من غيرها إلى تربية أذواقها – كما يقول «لنداو» – وإلى أخلاقيات النقاد المخلصة المفهومة والمعبرة في الوقت نفسه [1] وهو ما تكشفه الأمثلة التي

---

(١) يعقوب م . لنداو – (ترجمة وتعليق د . أحمد المغازي) – دراسات في المسرح والسينما عند العرب – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٢ – صفحة ٢٨٣ و ٢٣٦ .

سنسوقها هنا .

فالمقالات مجرد شحن لهمة القارئ فى أغلبها دون تقديم تحليل منطق أو وضع مخارج عملية مدروسة أمامه . أو حتى متابعة تنفيذ كل هذه المقاييس الواجبة . وحتى أصبح مجرد ذكر مشاكلنا والعثور عليها هدفاً فى ذاته ، لامتصاص مشاعر الغضب والسخط لدى جمهور القراء سواء فى المعالجة الفنية داخل العمل الفنى أو فى المعالجة الإعلامية داخل المقال أو الخبر أو الكاركاتير النقدى .

والأمثلة على ذلك كثيرة :

منها «مناقشة قضية الأصالة والمعاصرة ، مثلاً فى العدد الثانى من الملحق الأدبى والفنى»(١) أوعندما يسترعيك مقال آخر بعنوان : «الفيلم المصرى السياسى يسيطر فى العالم العربى»(٢) ثم تقرأ مثلاً : «الفنان المسرحى اهتزت مكانته . . إلا قلة تطفو على السطح وترتدى عوامات النجاة»(٣) ثم تكتشف بعد قراءة كل هذا أنك أمام مجموعة أخبار قصيرة أو تحليلات سريعة لا رابط لها ، أو تصريح على لسان فنان ليس غير. وعندما يكون الأمر هنا أمر تعدد وتعمق معاً كما تقرأ عن : «خطة

---

(١) الأخبار – عدد ٦ من يوليو ١٩٦٩ . عدد ٢ الملحق الأدبى .

(٣) الأخبار – عدد ٢٨ من أكتوبر ١٩٧٥ – أخبار السينما .

(٣) الجمهورية – عدد ٨ من يناير ١٩٧٦ .

جديدة لمسارح الدولة واستقلال البيوت المسرحية »[١] على لسان مسئول فى وزارة الثقافة ثم نفاجأ بأننا أمام موضوع إخبارى ينقصه التفصيل والتحليل الإخباريان أيضاً . والمنوال نفسه عندما نقرأ عن نتائج مسابقة « فرق الأقاليم المسرحية »[٢] دون استقراء هذه النتائج أو عندما يشدنا عنوان خادع ومثير آخر عن الحركة الثقافية فى العالم الغربى[٣] .

ومن الطريف هنا أننا من ناحية أخرى قد نفاجأ بقراءة معالجة جادة – على النقيض مماذكرناه – ولكننا لا نلبث أن نسقط فى « هوة » اختصار مخل – لا تصعب ملاحظته – من جانب الصحيفة أحياناً – وبغض النظر من احتمال أن المقال يستحق الاستطراد والتحليل أم لا ، أو أن نسقط فى هوة أخرى هى هوة التشعب والاستطراد بعيداً عن الموضوع الأساسى ، وبعد أن مرضت الصحافة عندنا بداءٍ رجيم هو : قياس أهمية الموضوعات الصحفية بمدى قياس مساحتها المنشورة فقط . ومن ذلك موضوع : « مسرح الطفل . . كيف ؟ . ولمن ؟ »[٤] وموضوع آخر عن تاريخ الرقابة الفنية فى العالم ، لا نقرأ فيه شيئاً عن تاريخ الرقابة فى

---

(١) الجمهورية – عدد ٣٠ من سبتمبر ١٩٧٦ . ركن سينما – مسرح – تليفزيون – إذاعة .

(٢) الجمهورية – عدد ٢٥ من يناير ١٩٧٦ .

(٣) الأخبار – عدد ٧ من أغسطس ١٩٦٩ – عدد ٨ من الملحق الأدبى والفنى .

(٤) الأخبار – عدد ٢٥ من ديسمبر ١٩٧٥ – عدد ٣٣٦ من الملحق الأدبى .بقلم د . إبراهيم حمادة .

مصر ، أو حتى نقرأ فيه مزجاً بين تطور الرقابة فى مصر وتطورها فى العالم إيجابيًّا أو سلبيًّا ، أو حتى مجرد وعد للقارئ بمعالجة شىء من هذا فيما بعد[١] . نعم إن المقال مدروس وجذاب فى حدود العنوان الإعلامى والحيز الذى اختاره ، ولكننا هنا نحاسب على المفروض الإعلامى الذى نحن فى حاجة إليه ؛ ذلك أننا لا يمكن أن نلقى بالمسئولية هنا على الكاتب أو المحرر الذى قد يضطر إلى ركوب الصعاب والمحاذير ، — وإن كنا نطالبه فى الوقت نفسه بضرورة مواصلة الجهد والخلق ، أو نلقيها على القارئ الذى ربما لا يجد أمامه عوضاً أو بديلاً ، وإن كنا نطالبه هنا بضرورة الإخلاص فى الفهم والرغبة فى الترقى — ولكننا نلقيها على الجريدة التى لها الحق وحدها فى اختيار نوعية كاتبيها وسياسة تحريرها شكلاً ومضموناً ، وعليها واجب الارتفاع بمستوى قرائها . ثم بعد ذلك يطالعنا مثل آخر أكثر جلاء عندما نقرأ عن «المحاكمة . . والبحث عن الملامح المصرية للمسرح» ، ثم لا نجد شيئاً يذكر أو ذا شأن ، عن هذه الملامح المصرية للمسرح ، أو حتى نقداً دقيقاً عن المسرحية التى تحمل اسم المحاكمة[٢] .

وهكذا سباق فى الكلام والوعود ، وتنافس فى شعارات العناوين !

ثم كانت أذكى عملية صحفية من عمليات خداع الموضوع . هذه

---

(١) الأخبار عدد ٥ من أكتوبر ١٩٦٩ «٦٠ سنة عمر مقصات رقباء الأفلام فى العالم»

(٢) الأخبار — عدد ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٦ — فريدة النقاش .

التى أطلقت عليها جريدة الأخبار «تقديرات البرامج» بالنسبة لبرامج التليفزيون : وذلك عندما حددت علامات معينة أمام كل برنامج يمكن بها أن يعرف القارئ مستوى البرنامج المقدم : بين تقدير (ممتاز – وجيد – ومتوسط) . والفكرة فى ظاهرها طيبة ، وحسنة النية من حيث حماية وقت القارئ أمام البرامج الرديئة وتقديم نماذج فنية راقية يمكن أن نقيس عليها .

ولكن من الذى شاهد هذه البرامج ليحكم عليها ؟ وكيف ؟ . وهل يتم التقويم وفقاً لاسم المخرج أو الكاتب ، أو وفقا لما يسمعه ويخمنه السيد المحرر ، أو تبعا للأحكام ومستويات التذوق الفنى المنقولة إليه من المخرج أو البطل أو المؤلف . أو من عابر سبيل فنى أيا كان ؟ . .

لقد بدأ التبشير بهذه التقديرات فى نوفمبر عام ١٩٧٥ .[1] إنها وصاية فنية وإعلامية بلا شك . وإذا كانت الوصاية لازمة فى بعض الأحيان فإن لها شروطاً ، وأول هذه الشروط فى تصورنا هى :

«الصدق فى الاستيعاب + الأمانة فى التقديم + الحرية فى الاختيار .

---

(١) الأخبار – عدد ٢٤ من نوفمبر ١٩٧٥ – وهذه العلامات هى : ×××= ممتاز ، ××= جيد ، ×= متوسط .

بين الفن الصحفى
وفن التطرف الصحفى

ساعد عدم التخطيط وخداع المضمون من ثم على التورط فى محظورين آخرين هما :

(ا) التطرف فى الشكل والإثارة :

ونعنى الاهتمام بالشكل والتجميل والإثارة غير الفنية فى الإخراج ، وأعنى بها إثارة المساحيق والملامح الصناعية ليس غير . ويتمثل هذا فى الإسراف فى عدد الجداول والبراويز والصور والعناوين والفراغات ، وتوضيبها بشكل مسترع وكهدف فى ذاته ، وذلك كنوع من الارتباط الجامد والتأثير بالطفرة الكبيرة فى الإخراج التى ارتبطت بظهور المجلات الفنية أساساً . [1] وهو تأثر اقتصر على جانب كبير منه هنا على مرحلة رد الفعل دون البدء بمرحلة الفعل الجديد أو الفاعلية الجديدة . هذا وإن كنا ننسى هنا أو نتناسى أن الإغراق فى الشكل يرتبط أكثر بالمجلة ويحقق

---

(١) وبالذات مع ظهور مجلة « الصور المتحركة » السينمائية التى صدرت فى ١٠ من مايو سنة ١٩٢٣ . انظر أيضا د . أحمد المغازى – دراسات فى الإعلام الفنى والصحافة المتخصصة – المجلد الأول الصحافة الفنية فى مصر . نشأتها وتطورها – من الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ إلى مصر الدستورية عام ١٩٢٤ – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٨ .

فائدته الجمالية والتوظيفية الحقيقية عندما يرتبط أكثر باطراد بالعمق فى معالجة الموضوع بصفة عامة ، وإلا فإنه يكون تعويضاً زائفاً عن الإحساس بالنقص والقيمة الأصيلة فى المضمون . وكأننا أصبحنا أمام وجه جميل منمق بالمساحيق ، ولكنه سليط اللسان إذا تحدث عن مضمونه . والخير كل الخير هنا هو أنه إذا أخذنا بسياسة المساحيق يلزم أن نراعى فيها نوع المضمون . . ونوع الوسيلة الإعلامية ، وكل فى فلك يسبحون .

ولعل الأهرام تكون أكثر الصحف إغراقاً فى الشكل عندما يطالعنا بملحق «الفن فى أسبوع» – الذى أشرنا إليه – وصدر فى صفحتين كاملتين . هذا وإن كنا نلحظ أيضاً تطرفاً نسبيًّا فى الشكل أيضاً بالنسبة لصفحات الملاحق الفنية التى تصدرها جريدة «الأخبار» والتى أشرنا إليها من قبل أيضاً . ولعلنا نلاحظ هنا أنه كلما هبط المضمون برز الشكل تلقائيًّا والعكس صحيح .

(ب) التطرف الإخبارى :

الاهتمام بالجانب الإخبارى فى معالجة هذه الأركان والملاحق ، وأعنى خصوصاً الجانب الإخبارى المصور بما فى هذا الجانب من تسلية وإثارة غير فنية وتلبية لاحتياجات القارئ السطحى وبما لا يرتفع إلى مستوى التغطية الإخبارية العلمية التى يتم التخطيط لها ومتابعتها والتى نحن فى

حاجة إليها فعلا ، وذلك عندما يكون عوضنا عن الدراسة العميقة هو تقديم الخبر التحليلي الدقيق الذى يساعد القارئ على إصدار الأحكام بناء على معلومات ووقائع دقيقة ومحايدة ومتكاملة . وأيضاً عندما يتحايل الصحفى فى ظروف وضغوط بذاتها ويلجأ إلى تقديم نوعيات معينة من الأخبار . . وفى أوقات معينة . . وفى ترتيب معين أيضاً . . وبحيث يتم حصر القارئ فى زاوية معينة ، ليفهم شيئاً معيناً بذاته . وهو مايعرف ضمن فنون التحرير الصحفى والإخبارى الحديث باسم Connotation .

أو التضمين الإخبارى [١] وذلك فى سياق خبر واحد كما هو معروف أو فى سياق كثير من الأخبار كما يمكن أن نتصور حدوثه أيضاً . والأمثلة كثيرة فى الأخبار المسطحة والتحليلات الإخبارية الجوفاء . وأكتفى بأن أشير إلى بعضها بتواريخ نشرها الموثقة فى هذه الدراسة السريعة وهى : ست روايات من المسرح العالمى تنتجها فاتن حمامة [٢] وسنة أولى حب . . فى مهرجان القاهرة [٣] وكيف تشاهد فيلما [٤] . وهل انتهى عهد الفنان العظيم [٥] وأيضاً اليوم قضية صلاح نصر

(١) ستانلى جونسون وجوليان هاريس – (ترجمة وديع فلسطين) استقاء الأنباء فن – دار المعارف القاهرة – ١٩٦٠ – ص ١٨٢ – ١٨٦ .

(٢) الأخبار – عدد ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٦ .

(٣) الأهرام – عدد ٧ من أغسطس ١٩٧٦ – ملحق الفن فى أسبوع .

(٤) الأهرام – نفس العدد السابق والمكان .

(٥) الأهرام – عدد ١٤ من أغسطس ١٩٧٦ – ملحق «الفن فى أسبوع» .

ضد الليثى ونجيب محفوظ [١] و «محرم فؤاد يفوز بالجائزة الأولى فى أغانى ٦ أكتوبر» [٢] . ومن ذلك أيضاً «فيلم العزيمة المصرى فى كتاب عن تاريخ السينما» [٣] .

ولكم كان يمكن أن تعالج كل هذه الأخبار بصورة أعمق وأكمل ، ومرة واحدة أو تباعاً .

مواصفات الدورية الإخبارية :

وبالنسبة لهذا التخبط الشكلى والإخبارى الذى قد يرى البعض أنه ليس عشوائيًّاوأنه قد يكون ناتجاً عن جهل الكاتب بأصول الفن الصحفى ولجهله برسالة الفن الصحفى الذى يعتمد على «التبصير» وليس التعفير — أقول : إنه بالنسبة لكل هذا فقد تبين أن الأهرام والأخبار كانتا صادقتين عندما تنص الأهرام فى تقديمها للملحق الفنى فى الخميس — السابق لصدوره بقولها :

«ويقدم هذا الملحق البرامج الكاملة للإذاعة والتليفزيون طوال الأسبوع مع تلخيص للأفلام والمسرحيات المعروضة» [٤] .

---

(١) الجمهورية — عدد ٢ من يناير ١٩٧٦ .

(٢) الجمهورية — عدد ٢٩ من نوفبر ١٩٧٥ .

(٣) الجمهورية — عدد ١٤ من يناير ١٩٧٦ .

(٤) الأهرام — عدد ٥ من أغسطس ١٩٧٥ . ص ١ .

كما تسبق ملاحق السينما والمسرح والأدب فى جريدة.الأخبار كلمة «أخبار» وبغض النظر عن ارتباط هذه الكلمة باسم الصحيفة ذاتها . وعموماً فإنه يبدو أن الأهرام فى تقديمها الذى جرصت ، وكذلك جريدة «الأخبار» فى حرصها على ذكر الصيغة الخبرية ، كلتاهما تحاول أن تجد العذر مقدماً فى تبرير المادة التى تنشرها أو فى عدم الألتزام دائماً بتقديم الموضوعات المدروسة ، كما تحتها عليها مسئولياتها .

والذى يجب أن ننبه إليه هنا هو أنه لا يوجد شىء اسمه «ملحق إخبارى» أو «ركن إخبارى». يصدر أسبوعيًا ، أو تمضى على دوريته أكثر من ٢٤ ساعة على أقصى تقدير : ذلك أن الدورية الأسبوعية هنا ضد مبدأ الطزاجة الإخبارية المطلقة ، وأنه يلزم أن تقترن الصفة الإخبارية هنا بصفة أخرى هى الصفة التحليلية أو التفسيرية . هذا وإن كانت صفة الركن اليومية التى تعزل مادة الركن وتميزها عن بقية المواد الصحفية اليومية يلزم أن ترتبط بشىء من الصفة التحليلية للمادة الخبرية اليومية ذاتها ما أمكن ذلك وكما يقتضى المقام .

وحتى إذا سلمنا جدلاً بأن الصحف حددت المقياس أو المقدمة التى تطلب من القارئ أن يحاسبها على أساسها – فإننا نعود فنحاسب الصحيفة منذ البداية على هذه المقدمة ونناقشها فى الاستراتيجية العليا التى التزمت بها. ذلك أن المسألة ليست مسألة ذاتية أوعهداً يقطع وكفى ، إن حقوق القراء ومسئوليات الإعلاميين أكثر من كل هذا . وهى

بمثابة التزامات مسبقة. ومقدمات يقاس عليها وليس العكس. وحتى لايساق القراء أوالشعب طوعاً أو كرهاً إلى حيث لا يحبون ولا يريدون.

المسئولية الإعلامية بين الصحيفة والكاتب والقارئ :

غير أن الحيدة العلمية تقضى هنا بأن نقول : إن هناك بعض المقالات القليلة الجادة التى طالعتنا فعلاً فى سياق استعراضنا لمقومات هذا البحث فى ثنايا الصحف والتى تتسم بالدقة فعلاً فى معالجتها ، وهى جهد مشكور للفيف من الباحثين والكتاب الشباب ، ولكنها تضيع فى بحور هذه الصحف كما تضيع النغمة الطلية وسط ضجيج الزحام ، زحام الخداع فى الشكل والمضمون معاً .

وصحيح أن هذه الدراسات والمقالات الجادة متميزة لطبيعة ندرتها ، ولكن عنصر الندرة هنا لا يضمن لها عمق الأثر وثباته والناتج عن تكرار حدوثها ونشرها . ومن ثم لا تكون هناك متابعة وردود فعل فعلية . ولا يلبث إذن أن يحتويها النسيان .

ولكن تبقى بعض الظواهر اللافتة للنظر هنا فى معالجتنا لقضايا الإعلام الفنى فى الصحف : ذلك أن البدايات عندنا قد تكون سليمة وجادة فعلاً ، ولكن الانتكاسات لا تلبث أن تتوالى عندما تتقاعس هذه الأركان والملاحق عن متابعة القضايا التى تطرحها بنفسها فى البداية من قبيل المبادرة الجادة .

وفى الوقت نفسه فإننا نلاحظ أيضاً تذبذب مستوى المعالجة والتغطية الصحفية لدى الكاتب أو المحرر أو المخبر الصحفى الواحد ، وهو أمر في حاجة إلى تفسير علمى دقيق ربما لا تتسع له هذه الدراسة : فهل هو تذبذب ذاتى داخلى أو تذبذب مفروض وخارجى ؟ ثم هل هو تذبذب طارئ متغير أو تذبذب أصيل ثابت . . ؟ [1] .

بل إن هذا التذبذب ربما لا يقتصر فقط على موضوع دون موضوع ولكننا قد نلحظه فى الموضوع الواحد وللمحرر الواحد عندما يتضارب مستوى البداية عن النهاية أو الواسطة بينهما وما إلى ذلك . ولعلنى لا أبالغ إذا قلت : إننا قد نعرف القوالب الصحفية والإعلامية الصحيحة

---

(١) ومن الأمثلة على كل ذلك انظر الجمهورية عدد ١٢ من فبراير ١٩٧٦ والملحق الأسبوعى – أم كلثوم وذكريات عنها وهل حاربت أسمهان ونور الهدى وسعاد محمد «بقلم عبد الله أحمد عبد الله» وأيضاً الجمهورية عدد ٢٥ من مارس ١٩٧٦ (الأسبوعى) «وبدأ بالقاهرة المهرجان السابع لمسارح الأقاليم – أحمد عبد الحميد» .

وانظر كذلك الجمهورية عدد ١١ من ديسمبر ١٩٧٥ «على من نطلق الرصاص فى الفيلم» : سمير فريد (والفيلم اسمه الأصلى «على من نطلق الرصاص») .

وانظر الأخبار عدد ٧ من أغسطس ١٩٦٩ الملحق الفنى والأدبى عدد ٨ . شباب السينما المصرية وجها لوجه مع شباب العالم . صبحى شفيق .

ونلاحظ أننا لم نقرأ شيئاً عن هذه القضية الهامة فيما بعد التى أثارها هذا الملحق فى بدايته يحتمه حجم البداية الكيفية الجادة التى يأخذ بها .

راجع مرة أخرى الجمهورية عدد ١٢ من أغسطس ٧١ – السيرك ممنوع على ذوى الدخل المحدود . محمود خطاب .

أو نعرف الحلول السليمة لمشاكلنا . ولكن إما أننا لا نتابعها قصداً ، أو عجزاً فى أخلاقياتنا ، أو أننا لا نتابعها جهلاً لعجز فى قدراتنا ومواهبنا التطبيقية الفاعلة بالذات . أو لانتابعها حيرة وتردداً لغموض فى أهدافنا العليا أساساً .

ذلك أننا يلزم أن نراجع بين الحين والحين مدى ارتباطنا أو انحرافنا — من مثل هذه الأهداف العليا ، وأن نحسن تقويمها وتجليتها تماما . ولعل هذا يكون هو عهد البداية لنا دائماً .

العصر الذهبى للإعلام الفنى فى مصر :

ثم إنه لا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن أمام الصحف اليومية السيارة معيناً لا ينضب بالنسبة للدراسات والمعالجات الفنية المتنوعة الجادة ، الخفيفة ، والنظيفة فى آن واحد . وهو ما تزخر به المجلات الفنية المتخصصة [1] والتى سبقت إلى التطور منذ بدء صدورها الحقيقى بمجلة روضة البلابل الموسيقية عام ١٩٢٠ [2] ثم مجلة الصور المتحركة السينما وغرافية عام ١٩٢٣ كأول مجلة سينمائية متخصصة [3] ثم مجلة التمثيل

---

(١) د . أحمد المغازى — تطور الصحافة الفنية فى مصر وموقفها الإعلامى . . إلخ . المرجع السابق . أبواب متفرقة وخصوصا الجزء الأخير عن الفن الصحفى الجديث . .

(٢) وصدرت روضة البلابل فى الأول من أكتوبر عام ١٩٢٠ — لصاحبها ومحررها إسكندر شلفون .

(٣) صدرت الصور المتحركة فى ١٠ من مايو ١٩٢٣ لصاحبها ومديرها المسئول محمد توفيق .

أولى المجلات المسرحية المتخصصة عام ١٩٢٤ [١] ، ثم ما استتبع هذا الفتح من المجلات الفنية المتخصصة التى لا مجال لذكرها هنا ، والتى يمكن للصحافة السيارة أن تنال منها وتطوع مادتها وفق جرعة التخصص التى تعنيها [٢] ووفق المعاصرة التى تعيشها .

ذلك أن الإعلام الفنى المتخصص فى الصحافة - بكنوزه التى لم تنشر والتى سيرناها بصدق فى دراستنا المتخصصة عنها - قد أخذت من قبل بفن التحرير الصحفى الحديث وبفن النقد الإعلامى فى تطوره الجديد بكل القوة والاستيعاب والمثابرة وبصورة تستحق التقدير . وفى حين نرى أن الإعلام الفنى فى الصحافة اليومية حاليًا قد خلا فى محصلة النهاية من كل ما يذكرنا بالعصر الذهبى للصحافة الفنية .

وبات الأمر وكأنه تسابق فى السهولة والتسطيح الذى قد يصل لدرجة الابتذال أحياناً . والسهولة فن كبير يفصل بينه وبين الابتذال خط رفيع مستقيم لا يستطيع السير على دربه إلا كل محنك عليم .
والسهولة أو التساهل الذى نلحظه هنا لا يقتصر فقط على الابتذال فى المعانى والأخبار ، ولكن أيضاً فى الأسلوب الكتابى المتبع ، وفى حين

---

(١) وصدرت «التمثيل» فى ١٠ من مارس ١٩٢٤ - لصاحبها ومديرها المسئول محمد توفيق . ومن قبل صدرت الأدب والتمثيل كأول مجلة فنية متخصصة (شهرية) فى أبريل ١٩١٦ .

(٢) د . أحمد المغازى - المؤلف السابق والمكان نفسه .

نتفق هنا مع سلامة موسى [1] فى ضرورة الحرص على سهولة التعبير وسلاسته فى نقل المقصود فى الوقت نفسه . وذلك من حيث طريقة إيراد الخبر والتنويع فى وسائل الإقناع الصحفى وما إلى ذلك . .

ندوة الإعلام المتخصص ومسئولية الإعلام اليومى

ومن جهة أخرى ، فإننا إذا كنا قد أصبنا حاليًّا بندرة فى ظهور المجلات الفنية المتخصصة حقيقة إلى جانب ارتباط ظهور هذه الندرة بمستوى فنى إعلامى هابط لا يناسب المسئوليات الإعلامية المعاصرة ، فإن معنى هذا أن الصحافة السيارة — بأركانها وملاحقها الفنية ، وكصحافة للإنقاذ السريع أمام ندرة الإعلام الفنى المتخصص — هذه الصحافة تقع على عاتقها مسئولية مضاعفة لتعوض القارئ عن نقص صدور هذه المجلات المتخصصة وضحالتها بحيث لا يصح أن تقيس الصحافة التى يملكها الشعب — كما نعلن ذلك ونفاخر به — أسباب نجاحها فقط ، بمقاييس الربح والانتشار المسطح ، كما يرتبط ذلك بالاحتكارات الإعلامية الأخرى التى توازن بين رسالتها التجارية والإعلامية والتى قد ترجح جانب رسالتها التجارية .

هذا وإن باتت ضرورة تحقيق الرسالة الإعلامية حتى على يد هذه الاحتكارات الإعلامية حاليا واجباً أصيلا يضمن التوازن التجارى لها

(١) سلامة موسى — الصحافة حرفة ورسالة — مطبعة مصر — القاهرة — ١٩٥٧ ص ٤٠ .

وإقبال الجمهور الواعى عليها من ذوى القدرة على الشراء والقدرة على التأثير والتهييج الاجتماعى فى الوقت نفسه . وبدرجة أكثر .

وهنا يلزم التنويه مراراً على خطر الفنون بالنسبة لتشكيل الحياة النفسية للجماعات والأفراد [١] كما حذرنا بقوة ، «أرون أدمن» فى حديثه عن كنه الفن والإنسان ، وكذلك يلزم التنويه مراراً ويفزع هذه المرة إلى الخطر الناشئ عن تركيز الفنون على الجانب السلبى والمسلى فقط ، أو القاتل لروح الكفاح والحماس والمثابرة والصدق كما حذرنا أيضا – «أفلاطون» فى محاوراته ، التى تعرض لها بذكاء أرون أدمن [٢]

ومعنى ذلك فى نهاية الأمر التزام واحد كبير ، وهو ألا يكون موقف الكتاب والفنانين من المسئولية الثقافية والإعلامية والصحفية والسياسية هو موقف التعايش السلبى وكفى الله المثقفين شر القتال ! ذلك أن الله لا يكفى المؤمنين بفكرهم وثقافاتهم وإيمانهم شر القتال إلا إذا أخلصوا النية فى البداية ، وهبوا للنضال والاستشهاد فى سبيله ، ثم يأتى الفرج والنصر من حيث لا يحتسبون ، إن الثقافة والمعرفة والعلم ليست مجرد متعة

---

(١) أرون أدمن – الفنون والإنسان (ترجمة حمزة محمد الشيخ) – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٦٥ – ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق والمكان نفسه .

ذاتية ينعم بها صاحبها وكفى ، إنها أثر وتأثير ، وقول وعمل ، وأخذ وعطاء .

إن موقف المثقفين هنا لا يصح أن يكون – على حد قول فتحى رضوان – موقف المتنقل بين الثقافات [1] كأنهم فى نزهة فكرية ، ليس غير .

---

(١) فتحى رضوان – «عصر ورجال» – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٥ – ص ٣٠ .

الخلاصة

خطة متكاملة للإعلام الفنى نقداً وتذوقاً :

وأخيراً . . فإننا إذا أردنا أن نحقق كل هذا فعلينا أن نأخذ بمعالم طريق محددة وعريضة وهى :

أولاً – خطة تحريرية موحدة :

ضرورة وضع خطة تحرير وتعبئة فنية فى الصحف السيارة تساعد فيها هذه الصحف على وضع الخطة الثقافية والفنية على مستوى الدولة وتبصيرها (ولا مجال هنا لشرح كيفية تحقيق ذلك علميًّا) على أن تلتزم بمتابعتها فى أركانها وملاحقها وفق متطلبات الشعب وظروفه وأهدافه السياسية والقومية النبيلة . بحيث لا تترك هذه الأركان والملاحق نهباً لأذواق وإمكانات محرريها على تلقائيتها قوة أو ضعفاً ، وبحيث لا يتشتت من ثم تذوقنا الفنى العام ، ويتدهور أمام مضاربات النقاد والكتاب ، فنؤمن بالصباح بما نحن مدعوون – بكل الإخلاص – لأن نكفر به فى المساء !

إن هذا المطلب الكبير ليس بمعجز إذا ما خلصت النيات فعلاً على ذلك ؛ كما أننا إذا كنا نتذرع أو ندعو أو نؤمن حقاً بحرية الفكر وحرية

التذوق الفنى – فإن هذا يتطلب منا أن نقدم للجمهور شتى صنوف الفكر والفن الأصيلة وأن نساعده على تبصرها بجيدة مطلقة . . وفرق بين أن أساعدك فى بناء سواعدك ، وبين أن أتحكم فى نموها أو أشترط لها مداراً بذاته .

ثانياً – الملاحق المتخصصة فى المناسبات :

ضرورة إصدار ملاحق خاصة فى المناسبات القومية والهامة . بحيث يمكن أن تتحول إلى دراسات أكثر عمقاً وتفصيلاً فى المجلات الفنية المتخصصة أو الكتب الدورية التى تصدرها الدار الصحفية فيما بعد ، وحتى يمكن أن نحقق ما يمكن أن نسميه – بالتكامل الإعلامى – فى المكان الواحد .

وهذه الملاحق والكتب الخاصة يتم الإعداد لها جيداً قبل موعد صدورها بكثير . وتتشكل لها مجموعات علمية ومتخصصة قلباً وقالباً ، وليس مجرد الاكتفاء بصدور اسم الكتاب دون مضمونه أو اشتراك المختصين دون الاستفادة الحقيقية بهم كلهم أو بعضهم .

ثالثاً : مقومات موحدة للإعلام الفنى نظريًّا وتطبيقيًّا :

ضرورة أن تأخذ وسيلة الإعلام الفنى – المتمثلة فى الصحافة وغيرها من الجهات المسئولة عن تربية الشعب الإعلامية والفنية والثقافية –

بالأسلوب العلمي فى وضع خطة التذوق الفنى والإعلامى المعبر عنه .

وذلك عن طريق التوصيف السليم سياسيًّا وفنيًّا ، ونظريًّا وتطبيقيًّا .

وبصورة مباشرة وفعالة لأهداف كل من :

- الرقابة على المصنفات الفنية وترشيدها بصفة مستمرة .

- برامج المسارح القومية والقيم التى تدعو إليها .

- الإعانات والجوائز الفنية والتى ترتبط بمدى الفهم والتطبيق لهذه الأهداف والقيم .

- تدعيم المعاهد الفنية أكاديميًّا وعلميًّا ونشر عروضها الفنية التطبيقية . إلى جانب تدعيم ونشر الصحافة المدرسية والجامعية ومسابقتها باستمرار وما إلى ذلك .

وعلى أن نعتبر كل هذه المجالات التى ذكرناها بمثابة الأوعية الأولية التى تحدد الصفات الوراثية السليمة للتذوق الفنى أو للإعلام الفنى السليم بعد ذلك .

ولا شك أن كل مجال من هذه المجالات جدير بدراسات أخرى متعددة ومفصلة بحيث ترتبط جميعاً بتصور موحد تعكسه نظريتنا المتكاملة الشاملة عن الإعلام الفنى والتى لا مجال لذكرها هنا .

رابعاً – كفاية جهاز التحرير :

ضرورة تخصيص جهاز تحـرير أعمقَ ثقافة وتخصصا بالنسبة للإمكانات والمهارات الإعلامية والفنية والثقافية بعامة . وهذا الجهاز تكمن خطورته بأن عليه يقع عبء التوصيل ، وبقدر سلامته ونظافته ونزاهته يكون حكمنا على جدوى ما ينقله لنا ، وذلك كعقبة : يلزم إزالتها بداءة إذا أردنا أن نضمن سلامة الاتصال بين الكاتب والقارئ أو بين الفنان والمشاهد فى حلقة كبيرة اسمها «سيكلوجية الاتصال» [(١)] والذى نعنيه هنا أن ثمة فارقاً بين استيعاب العمل الفنى دراميًّا وجماليًّا وبين مدى النجاح فى التعبير عن مضمونه إعلاميًّا وصحفيًّا وفق أساليب الفن الصحفى الحديث . وهذا هو ما تترجمه نظريات الإعلام الحديث باسم «حارس البوابة» الإعلامى الذى يلزم فى رأينا ألا يكون مهيجا إعلاميًّا ولكنْ موصلاً ومرشداً إعلاميًّا أميناً . .

ومعنى هذا باختصار أن الأزمة فى تحرير الإعلام الفنى عندنا وفى الصحافة على وجه الخصوص – وما تعنيه هذه الأزمة من تدهور فى تذوقنا الفنى وانهيار من ثم فى تذوقنا الاجتماعى العام – أقول : إن معنى

(١) PARRY — The Psychology of Human Communication — Unuversity of London Press (LTD) Third Impression — 1970 — (Copy Right 1967) P. 10.

هذا باختصار أن الأزمة عندنا :

أنه قد يكون هناك صحفيون ، ولكن لا يفهمون فى الفن !

أو فنانون ، ولكن لا يفهمون فى الإعلام !

أو فى بعض الأحيان لا هذا ، ولا ذاك !

والمطلوب أولاً وأخيراً هو أن نجمع بين الحسنيين ، وليس هذا بالأمر الصعب . إذا ما فكرنا على طريقة ديكارت ، وإذا ما أردنا على طريقة الإمام الغزالى ، وإذا ما بدأنا العمل فوراً - كما أحب أنا أن أكرر وأضيف دائماً . .

فهذا فى الواقع هو مثلث النجاح الذى لا يكتمل إلا باكتمال أضلاعه الثلاثة معاً وهى . . الفكر . . . والإرادة . . . والعمل .

الكتاب القادم

المسرح الأمريكي

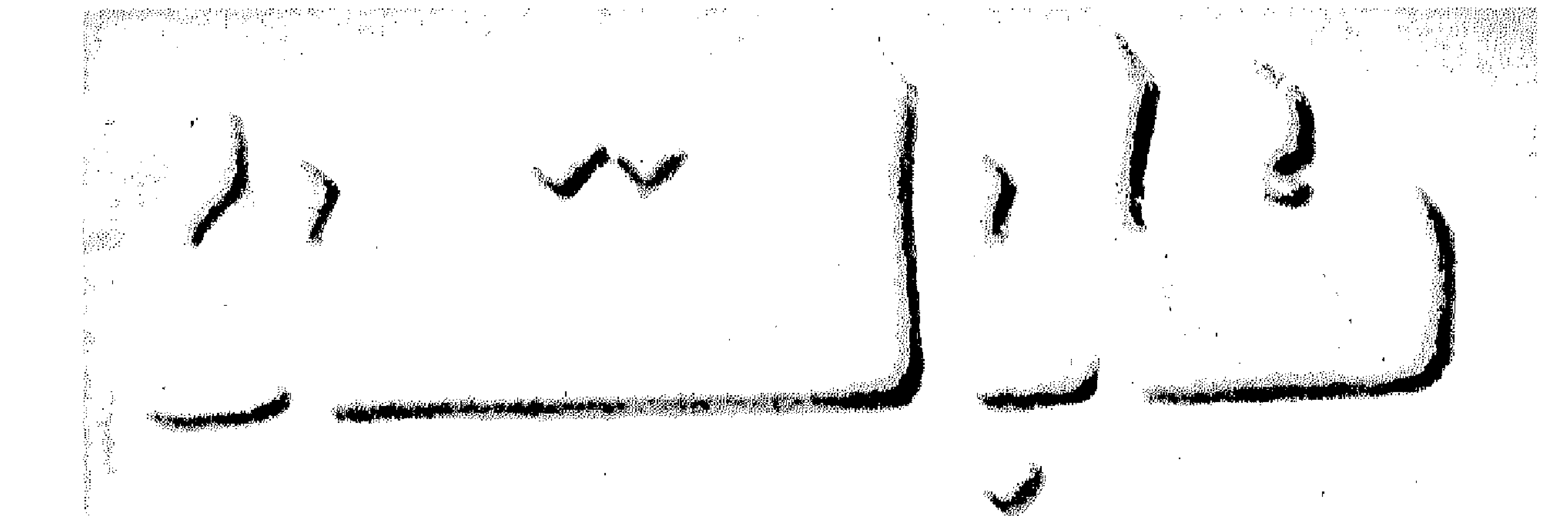
د . عبد العزيز حمودة

رقم الإيداع ١٩٧٨/٥٢٩٢

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٥٣٧ - ٥

١/٧٨/٢٨١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هـذا الكتـاب

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة كشف الملامح الخاصة بالنقد الفنى فى وسائل الإعلام ، وصولاً إلى وضع أخلاقيات للإعلام الفنى ، والإعلام الفنى المضاد .

كما تقدم هذه الدراسة التذوق الفنى كعنصر من عناصر الإعلام الفنى الجيد . فى عالمنا المعاصر .